

خطبة بعنوان:

استقبال العام الجديد بعنوان: (1)

((اغتنام الأوقات بالباقيات الصالحات))

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } [آل عمران: 102]

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: 1]

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا } [الأحزاب: 70-71]

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله: "إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ [الأنعام : 134]"

فإننا في هذه الأيام نستقبل عاما هجريا جديدا ونودع عاما آخر، فكيف سنستقبل هذا العام؟ وما ذا قدمنا في العام المنصرم؟ أما العام الجديد فيتدارك بالتوبة والاستعداد بالأعمال الصالحة، وأما العام الذي مضى فلا يتدارك إلا بالتوبة والاستغفار والندم على ما فات من التقصير.

فأيام الناس على ثلاثة أقسام: يوم مضى، ويوم حاضر، ويوم آت .

فأما اليوم الماضي فكما تقدم يتدارك بالتوبة والاستغفار مما تقدم من الذنوب, والدعاء بأن يتقبل الله صالح الأعمال، وأما اليوم الحاضر فيستعد له بالطاعات من ذكر الله وشكره وحسن عبادته، وأما اليوم الآت - ولعلك لا تدركه - فتستعد له بالنية الصالحة وذلك أن تصلح ما بينك وبين الله سبحانه وتعالى مستقبلا.

فقد روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يروى عن ربه عز وجل قال: قال الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ» الحديث. وهذا لما يستقبل من الزمان.

(1) تلقى هذه الخطبة في آخر جمعة من ذي الحجة أو في أول جمعة من محرم.

وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى "الحديث

أيها الناس إننا نشاهد في هذه الأيام تقارباً في الزمان ومرور الأيام والشهور والأعوام سريعاً، وهذا مؤذن بقرب قيام الساعة، كيف لا؟! ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول كما في حديث جابر رضي الله عنه « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ ». وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى .

فبعثته صلى الله عليه وسلم أول علامات الساعة فإذا كان هذا قبل أربعة عشر قرناً فكيف بزماننا ؟ فالساعة قريبة ولا شك قال الله تعالى: { اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ } [القمر: 1]

وقال تعالى: { اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُؤُا

النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ {
[الأنبياء: 1-3]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: هَذَا تَنْبِيْهُ مِنَ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى اقْتِرَابِ
السَّاعَةِ وَدُنُوِّهَا، وَأَنَّ النَّاسَ فِي غَفْلَةٍ عَنْهَا، أَيْ: لَا يَعْمَلُونَ لَهَا، وَلَا يَسْتَعِدُّونَ
مِنْ أَجْلِهَا. اهـ

ومن علامتها سرعة الأيام وقلة البركة فيها، فقد روى الترمذي عَنْ أَنَسِ
بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَقُومُ
السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ
الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرْمَةِ بِالنَّارِ».

وقوله كالجمعة أي: كالأسبوع، وقوله كالضرمه بالنار أي: كاحتراق
السعفة.

ومن علامات قرب قيام الساعة كثرة الفتن ورفع العلم وكثرة القتل ففي
الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: «يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ، وَيُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ، وَيُلْقَى الشَّحُّ، وَيَكْثُرُ
الْهَرْجُ» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ: «الْقَتْلُ».

والشح هو البخل.

الشاهد من هذا، كيف نستقبل ما بقي من أعمارنا في هذا الزمان؟ ونحن
سائرون إلى الله ومسافرون إلى الدار الآخرة وكل يوم ونحن نفترق من
الآخرة ونبتعد من الدنيا .

عباد الله: أعمالنا قليلة وأعمارنا قصيرة وأجالنا قريبة وآمالنا طويلة
وأسفارنا بعيدة...

فما المخرج؟ ليس لنا إلا مخرج واحد ألا وهو العودة إلى الله سبحانه
وتعالى واغتنام ما بقي من أعمارنا في طاعة الله وشكره وحسن عبادته
وذكره، ومحاسبة أنفسنا على ما فرطنا ومداركة ذلك بالتوبة النصوح.

فاغتنموا هذه اللحظات والساعات وما بقي من الأيام والسنوات بطاعة
رب الأرض والسموات والابتعاد عن المعاصي والبدع والمحدثات، فإن
الدنيا أيام قلائل لا تساوي شيئا أمام الآخرة، فإن المفرطين يأتون يوم القيامة
يقسمون الإيمان المؤكدة بأنهم ما لبثوا في هذه الدنيا إلا الساعات المعدودة

كما قال تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ
كَانُوا يُؤْفَكُونَ} [الروم: 55]

وقال سبحانه: {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ
بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
{[المؤمنون: 112-114]}

أي وإن لبثتم فيها مئات السنين - على تقدير ذلك - فهي قليلة بمقابل الآخرة
وكما قيل: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة.

وقال سبحانه: {وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [الحج: 47]

قال ابن كثير: أي: هو تعالى لا يعجل، فإن مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم
واحد عنده بالنسبة إلى حكمه، لعلمه بأنه على الانتقام قادر، وأنه لا يفوته
شيء، وإن أجَلَ وأنظر وأملَى؛ ولهذا قال بعد هذا: {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أُمْلِيَتْ
لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ} اهـ .

وقال تعالى: {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ
سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا} [المعارج: 4-
6]

فهذا اليوم هو يوم القيامة - على الصحيح - بدلالة سياق الآيات، ومقداره
خمسون ألف سنة.

فكل هذه الآيات تدل على طول الآخرة وقصر الدنيا وحقارتها، فاجعل
أملك بالآخرة ولا تجعله بالدنيا فإن الدنيا قصيرة وعمر الإنسان فيها أقصر،
فاجعل هذا العمر القصير ذخرا للعمر الطويل الذي لا نهاية له، فقد روى
الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السَّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقْلَهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ".

فانظر واعقل، فإن عمر الإنسان في الدنيا ما بين الستين إلى السبعين، لكنه
في الآخرة مخلد في الجنة أو النار، فمن عمل قليلا أجز كثيرا ومن فرط في
القليل خسر الخسران المبين نسأل الله العافية والسلامة.

ومع كون العمر قصيرا لكن بإمكان العبد أن يتذكر فيه ويعبد الله ويغتنمه
بالباقيات الصالحات ليفوز بجنة عرضها الأرض والسماوات .

قال الله تعالى: { أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ
[فاطر:37] }

فمن ضيع عمره في اللهو واللعب فلا عذر له , لا سيما من بلغ الستين من عمره وهو لا يزال في لهوه وغفلته.

فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى أَمْرِي آخَرَ أَجَلُهُ، حَتَّى بَلَغَهُ سِتِّينَ سَنَةً» أي زال عنه العذر فلا عذر له إن لقي الله بعيدا عن طاعته وقد أمد به هذا العمر .

وهكذا كل مكلف يلقي الله بعيدا عن دينه فلا عذر له وإن كان شابا لكن يتأكد في حق الشيخ الكبير أكثر, فطوبى لمن قضى عمره في طاعة الرحمن, وخاب وخسر من ضيع وقته في اللهو واللعب والعصيان.

قال ابن القيم رحمه الله: من لم يجعل وقته كله لله فالموت خيره له من الحياة. اهـ

وقال يحيى بن أبي كثير رحمه الله: الفوت أشد من الموت. اهـ

مصدق ذلك ما ثبت عن أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ، قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ". رواه الترمذي وأحمد رحمهما الله تعالى.

فيا أيها الإنسان إنه لن تتحرك قدمك يوم القيامة إلى الجنة ولا إلى النار والعياذ بالله إلا بعد أن تسأل عن أربعة أسئلة وهي: عمرك وشبابك ومالك وعملك.

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي بَرزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَرُولُ قَدَمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَا فَعَلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ، فِيمَا أَبْلَاهُ» وفي رواية: "وعن شبابه فيما أبلاه"

والشباب داخل في العمر وهو من باب عطف الخاص على العام, وهذا يدل على أهمية الشباب ولأنه جوهرة العمر ولهذا فإن الشاب الصالح العابد من السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "سبعة

يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ وَشَابُّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ «.

الشاهد "وشاب نشأ في عبادة الله" فاغتنم شبابك في طاعة الله أيها المسلم قبل الهرم وقبل أن تضعف عن العمل فإن الله سبحانه وتعالى يقول: {وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ} [يس:68]

أي نضعف حواسه وقدرته فلا يستطيع التزود من الأعمال الصالحة التي لا يقوم بها إلا الشباب كالصيام والقيام والجهاد والحج ونحو ذلك.

واغتنم وقتك قبل الندم والحسرات فإن المغبون هو الذي يضيع وقته وفراغه فيما يسخط الله وفي غير مرضات الله وفي اللهو واللعب .

ففي صحيح البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " نِعْمَتَانِ مَغْبُوتٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ "

والغبين هو الندم والحسرة كرجل غبن في سلعة باعها بثمن بخس فأصيب بالغبن، أو اشترى سلعة بأضعاف ثمنها فلما تبين له قيمتها الحقيقة غبن وأصيب بالحسرة والندامة، فهذا في سلعة دنيوية، فكيف بأعلى سلعة على الإطلاق وهي جنة عرضها السماوات والأرض؟!!

قال تعالى: " يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ [التغابن : 9]

" أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةً، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ". ثبت هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم عند الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فاغتنم فراغك في طاعة الله واعلم أن الفراغ أقسام ثلاثة: فراغ القلب وفراغ اللسان وفراغ الجوارح , فلا تدع لسانك فارغا من ذكر الله تعالى , ولا تدع قلبك فارغا من حب الله تعالى وخشيته والإنابة إليه , ولا تدع جوارحك فارغة من طاعة الله تعالى والتقرب إليه بالأعمال الصالحة، فاجعل حياتك

كلها لله فإن الله تعالى يقول: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام: 162-
163]

قال الحسن البصري رحمه الله: من استعمل فراغه بطاعة الله فهو المغبوط
ومن استعمله في معصية الله فهو المغبون. اهـ بمعناه.

والمغبوط: هو الرجل الذي أنعم الله عليه بنعمة فغبطه الناس، أي: يتمنون
أن يكون لهم مثل هذه النعمة دون تمنى زوالها كحديث: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي
اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ
مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ " متفق عليه عن ابن عمر رضي الله
عنهما.

فيا أيها الناس إن الوقت ثمين ونعمة سنحاسب عليه وسندم ونغبين إن
فرطنا فيه ولم نغتنمه بذكر الله وطاعته وطاعة رسوله والصلاة عليه , فقد
روى الترمذي عن أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَا جَلَسَ
قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ، فَإِنْ
شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ".

وروى أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ
تِرَةٌ، وَمَنْ قَامَ مَقَامًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ، وَمَنْ اضْطَجَعَ
مَضْجَعًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ» ومعنى ترة: أي: خسارة
ونقص أو تبعة وحسرة.

وفي الحديث إشارة إلى اغتنام الأوقات حال القيام والقعود والسير
والاضطجاع.

ولهذا امتدح الله أولي الألباب بأنهم يغتنمون أوقاتهم حال قيامهم وقعودهم
ورقودهم وفي جميع أحوالهم فقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ
قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ } [آل عمران: 190-191].

وإن أهل الجنة يوم القيامة ليتحسرون على الأوقات التي لم يغتنموها وإن
دخلوا الجنة.

فقد روى الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما من قوم يقعدون ثم يقومون ولا يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ".

ولأهمية الأوقات وعظمتها أقسم الله بها في كثير من الآيات والله عظيم، له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته العظيمة الدالة على عظمته فأقسم بالأوقات لعظمتها ولما اشتملت عليه من العبادات العظيمة المشروعة فيها فأقسم بالفجر والليالي العشر فقال: {وَالْفَجْرُ * وَلَيَالٍ عَشْرٌ} [الفجر:1-2] والفجر يشتمل على صلاة الفجر والليالي العشر هي أيام عشر ذي الحجة ومن المعلوم أن الأعمال الصالحة فيها أفضل من الجهاد في سبيل الله، وأقسم الله بالضحي المشتمل على سبحة الضحى، وأقسم بالليل المشتمل على قيام الليل فقال سبحانه: {وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى:1-2] وقال سبحانه: "وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى" [الليل: 1] ثم بين فقال سبحانه: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً} [المزمل:6]

ومعنى ناشئة الليل: أي: صلاة الليل.

وأقسم الله بالعصر المشتمل على صلاة العصر فقال سبحانه: {وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر:1]. وقد ذكر بعض المفسرين أن المقصود بالعصر في هذه السورة هو: صلاة العصر.

وذكر كثير من المفسرين أن المراد بالعصر في هذه السورة: الزمان، قال السعدي رحمه الله: أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم. اهـ.

فيجب على المسلم أن يعظم هذه الأوقات كما عظمها الله تعالى وأن يغتنمها بطاعة الله سبحانه وتعالى .

فقد روى الحاكم عن ابن عباس، رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعْظُهُ: " اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ". أي افعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء تعقبها، فاغتنم الشباب قبل الهرم والشيخوخة، فإنها إذا جاءت ضعف العبد عن العمل .

واغتتم الصحة قبل المرض فإنك إن مرضت عجزت عن بعض الأعمال

واغتتم الغنى بالصدقات والانفاق في أبواب الخير فإنه إذا جاء الفقر لا تجد ما تنفق منه. واغتتم الفراغ قبل أن تشغل بشيء من أمور الدنيا , فإنك إن شغلت لا تستطيع التفرغ للعبادات وطلب العلم وغير ذلك .

قال عمر الفاروق رضي الله عنه: تفقهوا قبل أن تسودوا. اهـ. أي: قبل أن تشغلوا بالسيادة والرعاية وغير ذلك .

واغتتم الحياة قبل الموت فإنه إذا جاء الموت انقطع عملك وطويت صحيفة ديوانك فلا سبيل إلى العمل والرجوع إلى الدنيا لعمل الصالحات , كما قال تعالى: { حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } [المؤمنون:99].

اللهم إنا نسألك التوفيق والسداد اللهم اعمل أوقاتنا بذكرك وشكرك وحسن عبادتك ووفقنا لكل خير.

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه حمدا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشأنه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه, وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وإخوانه.

أما بعد:

فيا أيها الناس إنه لا بد من محاسبة الأنفس ولومها على تقصيرها فالمؤمن اللبيب والرجل العاقل هو الذي يحاسب نفسه قبل أن يحاسب , فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن , فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل , فإن أهل الدنيا من أهل الأموال و التجارات يحاسبون أنفسهم على تقصيرهم في باب المكاسب ويندمون إذا حصل فيها نقص غاية الندم , ويخصصون أوقاتا للحساب كل يوم من ليل أو نهار , بل ويجعلون في رأس كل سنة حصرا لتجاراتهم لمعرفة ماذا قدموا وماذا أخرجوا وماذا كسبوا وكم خسروا ليتداركوا ما فاتهم ويعوضوا ما خسروا , أليس من باب أولى أن يحاسب العبد نفسه على تجارة الآخرة التي فيها الفوز السرمدي والنجاة من العذاب الأبدي ؟ فلماذا ما يجعل العبد لنفسه ساعة كل يوم يحاسب نفسه فيها ماذا قدم وماذا أخر ؟ فإن عمل خيرا سأل الله الإخلاص والقبول وإن عمل شرا استغفر وتاب وأصلح ما أفسد .

فإنه ما من عبد إلا وسيحاسب على الصغير والكبير وعلى النقيير والقطمير فالمؤمن يحاسب الحساب اليسير والكافر يحاسب الحساب العسير قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا} [الانشقاق:7-12]

فأين لوم النفس على تقصيرها وتدارك ما فات بإصلاح العمل؟, فإن كل نفس تأتي يوم القيامة تلوم صاحبها, والله سبحانه وتعالى أقسم بالنفس اللوامة

لكثرة لومها لصاحبها يوم القيامة فإن كان صاحبها مقصرا تلومه على التقصير وإن كان صالحا تلومه على عدم الإكثار من الخير قال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة: 1].

قال المفسر السعدي رحمه الله: وهي جميع النفوس الخيرة والفاجرة، سميت {لوامة} لكثرة تردها وتلومها وعدم ثبوتها على حالة من أحوالها، ولأنها عند الموت تلوم صاحبها على ما عملت، بل نفس المؤمن تلوم صاحبها في الدنيا على ما حصل منه، من تفريط أو تقصير في حق من الحقوق. اهـ

وقال المفسر البغوي رحمه الله: أي: تَنْدَمُ عَلَى مَا فَاتَ وَتَقُولُ لَوْ فَعَلْتُ وَلَوْ لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ الْفَرَّاءُ: لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ بَرَّةٍ وَلَا فَاجِرَةٍ إِلَّا وَهِيَ تَلُومُ نَفْسَهَا، إِنَّ كَانَتْ عَمِلَتْ خَيْرًا قَالَتْ: هَلَّا ارْزَدَدْتُ، وَإِنْ عَمِلَتْ شَرًّا قَالَتْ: لَيْتَنِي لَمْ أَفْعَلْ. قَالَ الْحَسَنُ: هِيَ النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ وَاللَّهِ مَا تَرَاهُ إِلَّا يَلُومُ نَفْسَهُ مَا أَرَدْتُ بِكَلَامِي مَا أَرَدْتُ بِأَكْلَتِي وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَمْضِي قُدُمًا لَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ وَلَا يِعَاتِبُهَا. قَالَ مُقَاتِلٌ: هِيَ النَّفْسُ الْكَافِرَةُ تَلُومُ نَفْسَهَا فِي الْآخِرَةِ عَلَى مَا فَرَطَتْ فِي أَمْرِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا. اهـ

وقال المفسر ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر نحواً من هذه الأقوال: قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ: وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ مُتَقَارِبَةٌ الْمَعْنَى، الْأَشْبَهُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيلِ أَنَّهَا الَّتِي تَلُومُ صَاحِبَهَا عَلَى الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَتَنْدَمُ عَلَى مَا فَاتَ. هذه هي النفس اللوامة وبقي قسمان في الأنفس وهما النفس الامارة بالسوء والنفس المطمئنة ولا تعارض فإن نفس المؤمن مطمئنة ولوامة فأما النفس الأمارة بالسوء فهي التي تأمر صاحبها بالسوء والمعاصي. اهـ

وقال السعدي رحمه الله في قوله تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان. اهـ.

قال تعالى عن امرأة العزيز: {وَمَا أَبْرَىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ} [يوسف: 53]

وأما النفس المطمئنة فهي النفس التي اطمأنت بربها وسكنت بحبه وصدقت بوعده وارتاحت بجانبه وآمنت بدينه وانقادت لشرعه ورضيت بأقداره

وفازت بثوابه وجنته قال تعالى: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} [الفجر: 27-28].

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: فَأَمَّا النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ الْمُطْمَئِنَّةُ وَهِيَ السَّائِكَةُ الثَّابِتَةُ الدَّائِرَةُ مَعَ الْحَقِّ فَيُقَالُ لَهَا: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ} أَيُّ: إِلَىٰ جَوَارِهِ وَثَوَابِهِ وَمَا أَعَدَّ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّتِهِ، {رَاضِيَةً} أَيُّ: فِي نَفْسِهَا {مَرْضِيَّةً} أَيُّ: قَدْ رَضِيَتْ عَنِ اللَّهِ وَرَضِيَ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا، {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي} أَيُّ: فِي جُمْلَتِهِمْ، {وَادْخُلِي جَنَّتِي} وَهَذَا يُقَالُ لَهَا عِنْدَ الْإِحْتِضَارِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَيْضًا، كَمَا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُبَشِّرُونَ الْمُؤْمِنَ عِنْدَ احْتِضَارِهِ وَعِنْدَ قِيَامِهِ مِنْ قَبْرِهِ، وَكَذَلِكَ هَاهُنَا. اهـ.

فيا أيها المسلمون الحذر من ضياع الأوقات في اللهو واللعب والعصيان، فإن كثيرا من الناس قد ذبحوا أوقاتهم في المحادثات والقتال وأكل القات وأمام المسلسلات والخوض في البدع والمحدثات وضيعوا أعمارهم في السياسة والتحليلات إلا ما رحم رب البريات وغفلوا عن اليوم الذي تنزل فيه عليهم السكرات وتتوالى عليهم الحشرات {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ} [إبراهيم: 48].

فهذه اللحظات والساعات والأيام التي تمر هي من عمرك يا أيها الإنسان ولن تعود إلى قيام الساعة فادخرها لذلك اليوم .

قال الحسن البصري رحمه الله: يا ابن آدم إنما أنت أيام فكلما مر يوم فقد مر بعضك.

وقال رحمه الله: كل يوم يصبح ينادي: يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد ولن أعود إلى يوم القيامة. اهـ .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ما ندمت على شيء ندمي على يوم اقترب فيه أجلي ولم يزد فيه عملي. اهـ

فابدأ عامك بخير واندم على ما فرطت فيما مضى واعدد نفسك من الموتى، لعلك تموت من عامك هذا، كم من إخوان لنا فارقناهم، وقد عاشوا معنا العام الماضي، وفي هذا العام صاروا من المفقودين، أين ذهبوا؟ وماذا حصل لهم؟ إنه الموت فاجأهم، فقطع آمالهم، وانفقضت آجالهم، "وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ" [الآية: سبأ : 54]

فيا عباد الله: إن الأعوام والسنين تمر سريعا فهذا ينصرم وهذا يقترب حتى يشرف العبد على الدار الآخرة ويلقي ربه فانتقلوا بخير ما بحضرتكم, فيوشك أن تصلوا: "يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ" [الانشقاق : 6]

فأعمالكم الصالحة هي رأس أموالكم ,وأخرتكم هي مستقبلكم الحقيقي فلا تغتروا بالدنيا ولا تتخذوا بها.

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ" [فاطر : 5]

وقال تعالى: "وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ [العنكبوت : 64] "لهي الحيوان "أي : الحياة الحقيقية.

وقال الشاعر:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها *** إلا التي كان قبل الموت يبنها

فإن بناها بخير طاب مسكنه *** وإن بناها بشر خاب بانيها

اللهم وفقنا لفعل الطاعات وترك المنكرات والثبات على الدين حتى حتى الممات إنك قريب مجيب الدعوات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.